

آليات النقد الأدبي الرقمي - بحث في المفهوم ومقترحات المقاربة الرقمية -

Mechanisms of digital literary criticism – a study of the concept and proposals for a digital approach–

د. مكي مريم

جامعة طاهري محمد بشار

mekki3aycha@gmail.com

تاريخ القبول: 2023/05/09 النشر: 2023/05/31

تاريخ الاستلام: 2023/01/02

ملخص:

تتناول هذه الورقة البحثية آليات وإجراءات مقارنة الظاهرة الإبداعية في مرحلة النقد الرقمي من حيث هو نوع جديد تولد عن طريق التلاحم بين الأدب والتكنولوجيا، أدى إلى انتقال الإبداع من الورقية إلى الرقمية محدثاً بذلك ثورة على جميع المستويات، نتج عنها فوضى اصطلاحية ومنهجية؛ ذلك أن ميلاد الأدب الرقمي هو بالضرورة دعوة لميلاد النقد الرقمي الذي حاول أعلامه الجمع بين ما هو ورقي وبين التكنولوجيا، لصياغة مقترحات جديدة هي بمثابة لبنة تأسيسية لآليات النقد الرقمي، وهو ما نهدف إلى البحث فيه وتوضيحه من خلال ثلاث خطوات: المقاربة التفاعلية، مقترح النقد التفاعلي (نحو منهج نقدي تفاعلي)، المستويات المنهجية لنصل في الأخير إلى جملة من النتائج أهمها أن النقد الرقمي هو امتداد للنظرية النقدية الحديثة، وأنه يمثل ميلاد مرحلة جديدة.

الكلمات المفتاحية: نقد تفاعلي؛ منهج؛ نص رقمي؛ افتراضي؛ مقترحات.

Abstract :

This paper deals with the mechanisms and procedures for approaching the creative phenomenon in the stage of digital criticism as a new type generated by the cohesion between literature and technology, which led to the transition of creativity from paper to digital, causing a revolution at all levels, resulting in terminological and methodological chaos; This is because the birth of digital literature is necessarily an invitation to the birth of digital criticism, whose scholars tried to combine what is on paper with technology to formulate new proposals that serve as a foundational building block for digital criticism mechanisms, which is what we aim to research and clarify through three steps: the interactive approach, the interactive criticism proposal (Towards an Interactive Critical Approach), the methodological levels, to finally reach a number of results, the most

important of which is that digital criticism is an extension of modern critical theory, and that it represents the birth of a new phase.

KeyWords: interactive criticism; Curriculum; digital text; hypothetical; Proposals.

مقدمة:

يهدف النقد الأدبي بمختلف مناهجه إلى تقصي الظاهرة الأدبية ومعالجتها بشتى الطرق، حيث يتصدرها دراسة الخطاب الأدبي في ضوء العلاقة القائمة بينه وبين العالم الخارجي، مما أعطى الأهمية لدور الواقع على حساب الإبداع، فبرزت الحاجة إلى مناهج تهتم بالأدب وبشعريته وجماليته، الأمر الذي بلغ ذروته مع المناهج الحديثة، التي سلطت الضوء على الخطاب كبنية مغلقة قائمة بذاتها بعيدا عن المؤثرات الخارجية، وهي المرحلة التي شكلت فيها البنية الخط الفاصل بين الفترة المنهجية التاريخية واللحظة الحديثة التي تعنى بدراسة التشكل النصي، مغفلة بذلك عدة عوامل، وعلى رأسها القارئ الذي شكل الركيزة في نظريات القراءة والتأويل، وبذلك تغير مسار النظرية النقدية إلى المتلقي كعنصر أساسي في عملية إنتاج المعنى.

إن النقد المنهجي الحديث ينطوي على ثلاث محطات أو مراحل رئيسية، مرحلة المؤلف وتمثلت في النقد السياقي، ثم مرحلة النص التي جسدها النقد البنائي، وأخيراً مرحلة القارئ أو المتلقي كما في اتجاهات ما بعد البنيوية ولاسيما نظرية التلقي، بناءً على هذا يعمل النقد الأدبي على تحليل موضوعه انطلاقاً من ثلاثة عناصر (المؤلف النص، المتلقي)، ويندرج العنصر الأخير ضمن نظريات القراءة، التي وجهت اهتمامها إلى فعل القراءة وآليات التلقي ودورها في إنتاج المعنى؛ إلا أننا نلاحظ مع ظهور التكنولوجيا وغزوها لجميع الميادين، بداية ميلاد مرحلة جديدة تفتح على عنصر جديد في عملية التلقي، وهو دخول الحاسوب والتكنولوجيا في عملية إنتاج الخطاب وتلقيه.

إن الثورة التكنولوجية التي يشهدها هذا العصر لم يتخلف عنها ميدان الأدب والنقد، فظهور شبكة الإنترنت والمعلوماتية وكل ما تقدمه التكنولوجيا من تطورات، قد أفاد منها الأدب والنقد وخير دليل على ذلك بروز عدة مسميات تشير في مضمونها إلى العالم الافتراضي، فقد برزت الحداثة الزائفة (pseudomodernism) والحداثة الرقمية (digimodernism) ونشأ الأدب الرقمي والأدب التفاعلي والنقد التفاعلي-وغيرها من المصطلحات- التي تدل على استبدال الجانب الورقي بالعالم الافتراضي، فتغيرت بذلك معايير الانتقاء وشروط التأليف وابتعدت عن التقاليد، فأصبح الإبداع خيال لغوي وتقني، والمبدع أديب ومبرمج، والقارئ جزء من عملية الإبداع وشريك فاعل فيه، وحدود كل منها تختفي وتتجدد مع سيولة العالم الجديد، من هنا تغير تلقي النص من مجرد الاستقبال إلى التفاعل، من خلال التواصل الرقمي للنص الأدبي عبر الحاسوب، الأمر الذي طرح أسئلة جديدة على الظاهرة الإبداعية والنقدية تستوجب البحث والدراسة، فهل يمثل العالم الرقمي سيورة للنظرية الأدبية أم انقطاع؟ وهل تغيرت إجراءات تلقي النصوص وتحليلها أو هي نفسها تتواتر في العالم الافتراضي؟ وما هي خطوات القراءة الجديدة للنص الجديد؟

المقاربة التفاعلية:

أدت هيمنة التكنولوجيا على ميدان الأدب إلى تزاوج هذه الأخيرة مع الأدب وميلاد جنس أدبي جديد أُطلق عليه عدّة مسميات منها: الأدب الرقمي (Littérature numérique) والأدب التفاعلي (Littérature interactive) والأدب الإلكتروني (Littérature électronique) والنص المتفرع أو النص المترابط (Hypertexte).... وهو "الأدب الذي يوظف معطيات التكنولوجيا الحديثة في تقديم جنس أدبي جديد، يجمع بين الأدبية والإلكترونية، ولا يمكن أن يتأتى لمتلقيه إلا عبر الوسيط الإلكتروني أي من خلال الشاشة الزرقاء. ولا يكون هذا الأدب تفاعلياً إلا إذا أعطى المتلقي مساحة تعادل، أو تزيد عن مساحة المبدع الأصلي للنص" (البريكي، 2006، صفحة 49)

ارتبطت الأدبية بالتكنولوجيا وانتقل النص الأدبي بمختلف أجناسه من الورقية إلى الإلكترونية، بما في ذلك الشعر والقصة والرواية والمسرحية، فنشأ الشعر الرقمي أو القصيدة التفاعلية التي تشير إلى النص الشعري الذي يقدم عبر الوسيط الإلكتروني، مع ضرورة تميزه بعدد من الخصائص والصفات، كما أنه يستخدم عددا من التقنيات كالصوت والصورة (البريكي، 2006، صفحة 75/74)، والرواية التفاعلية هي "نمط من الفن الروائي يقوم فيه المؤلف بتوظيف الخصائص التي تتيحها تقنية (النص المتفرع) والتي تسمح بالربط بين النصوص سواء أن كانت نصا كتابياً، أم صوراً ثابتة أم متحركة، أم أصواتاً حية أو موسيقية، أم أشكالاً جرافيكية متحركة، أم خرائط، أم رسوماً توضيحية، أم جداول أم غير ذلك..." (البريكي، 2006، صفحة 112).

نحن أمام نص يمتاز بطبيعة خاصة تولد من خلال تضافر عدة عوامل، أهمها التكنولوجيا التي يتزايد تطورها ونموها، والتأثر بالغرب ونمو الثقافة العربية وتطورها، ووجود النص التفاعلي يعني أننا نتعامل مع نص تتضافر فيه مختلف العوامل التكنولوجية وتتلاحم محققة تزاوج الأدب والتقنية، ولا يمكن الفصل بينها لأنها تكتسب وجودها بواسطة ذلك التلاحم، الأمر الذي يحتم علينا التعامل مع (الأدب التفاعلي) ككل متكامل مع الشاشة الزرقاء، التي تعتبر بمثابة الوسيط للمبدع والمتلقي في آن واحد.

اهتمت نظريات القراءة والتلقي بحضور المتلقي في النص ومشاركته في إنتاج المعنى وبناءه، من خلال التفاعل بينه وبين النص، إلا أن (التفاعلية) اكتسبت مع التكنولوجيا معان جديدة، حيث أصبحت تعني "إنجاز كل ذلك في زمن أقل، وبسرعة أكبر، وبوجود عدد لا يحصى من المتلقين، مع خلق روح المنافسة بينهم لإبداع الأفضل، بل والأكثر من هذا أصبحت التفاعلية تعني سيادة المتلقي على النص، وحرته في اختيار نقطة البدء فيه، والانهاء به كيف يشاء هو، وإلى غير ذلك من الأوجه الجديدة والمبتكرة للتفاعل" (البريكي، 2006، صفحة 55).

التفاعلية هي "عملية التبادل أو الاستجابة المزدوجة التي تتحقق بين الإمكانيات التي يقدمها النظام الإعلامي للمستعمل، والعكس..." (يقطين، 2005، صفحة 259) فعملية التفاعل تتعدى المبدع والمتلقي إلى التفاعل مع كل المعطيات التي يقدمها الحاسوب للإبداع التفاعلي، بل ويفوق الأمر مجرد الاستخدام إلى الاتقان - في نظر بعض العلماء - حيث لا تعني "القدرة على الإبحار في العالم الافتراضي فحسب، بل تعني قوة المستخدم وقدرته على التغيير

فيه" (البريكي، 2006، صفحة 63) وهي دعوة إلى التمرس في العالم الافتراضي، فلمبدع لا يبدع نصوصاً فقط بل يمزجها مع التقنية ويستغل كل ما تتيحه هذه الأخيرة من معطيات كالصورة والموسيقى وحتى الفيديو ومؤثرات إلكترونية أخرى تدخل ضمن العملية التفاعلية.

يتحقق التفاعل في "الإبداع التفاعلي" في أقصى درجاته ومستوياته:

- بين المستعمل للحاسوب والحاسوب من جهة (لأن بينهما علاقة)
- وبين العلامات بعضها ببعض (لكونها مترابطة) من جهة ثانية
- وبين المرسل والمتلقي، حيث يغدو المتلقي للنص المترابط بدوره منتجاً، بالمعنى التام للكلمة، من جهة ثالثة (يقطين، 2005، صفحة 10).

بعد ما كان عناصر العملية الإبداعية في النظريات الحديثة يتحدد من خلال ثلاث أطراف (الكاتب-النص - القارئ) أصبح مع الأدب التفاعلي يتحدد على النحو الآتي:

- المبدع: يتعدى دور المبدع الكتابة إلى الإبداع بواسطة استعمال الحاسوب الذي يتسع لممارسات أخرى غير الكتابة.
- النص المترابط: يستعمله سعيد يقطين كمقابل (Hypertexte) وهو النص الذي نجم عن استخدام الحاسوب وبرمجياته المتطورة والتي تمكن من إنتاج النص وتلقيه بكيفية تبنى على "الربط" بين بنيات النص الداخلية والخارجية.
- الحاسوب: يحتل موقعاً جوهرياً في الأدب التفاعلي فهو أداة الإنتاج والتلقي معاً
- المتلقي: إلى جانب القراءة يقوم بأعمال أخرى تتصل بالحاسوب (يقطين، 2005، صفحة 10).

إذا كان النقد والأدب مرتبطين في مرحلتهما، فحتماً سنجد النقد يقف موقف الوسيط في سبيل توضيح الآليات والاستراتيجيات في التعامل مع هذا المولود الجديد (الأدب التفاعلي) في العالم العربي، لذا سنغير مسار بحثنا ونسلط الضوء على مجال النقد الرقمي.

لا يمكن تجاهل قدرة النقد الأدبي في مواكبته للأعمال الأدبية منذ مراحلها المتقدمة إلى العصر الراهن، وحرصه على تطوير أدواته واستراتيجياته لمقاربة الظاهرة الأدبية، إلا أننا نلاحظ وقوفه مشدوداً أمام التقنية يطرح إشكاليات جوهريّة، في محاولة للتصدي للنص التفاعلي الذي آمن به نفر من الباحثين واعترفوا بعلاقة الأدب بالشاشة الزرقاء، فعملوا جاهدين من أجل تسطير بعض المبادئ والآليات، التي تعتبر بمثابة لبنة تأسيسية في سبيل تطوير أدوات النقد الأدبي من أجل مقاربة النص التفاعلي.

في مقابل الأدب التفاعلي نشأ النقد التفاعلي ولم يسلم هو الآخر من فوضى المصطلح، وذهب الباحثون إلى من ينادي بالنقد الرقمي وإلى من يحتضن مصطلح النقد التفاعلي أو النقد الإلكتروني، الذي يدور في مضمونه حول مقارنة الظاهرة الإبداعية التفاعلية ويعرفه أحمد فضل شبلول بقوله: "هو نقد أدبي يقوم على استثمار الإمكانيات المعرفية الهائلة، وأتمار المعلومات والوثائق الأدبية والسياسية والاجتماعية... الخ، التي تتيحها على نطاق واسع أجهزة الحاسبات الشخصية، وبخاصة إذا كان الناقد المعاصر مشتركاً في شبكة عالمية مثل شبكة الإنترنت التي توفر له جميع المراجع الأدبية والنقدية والوثائق والنصوص التي يحتاج إليها، بمجرد ضربة على أحد أزرار لوحة المفاتيح" (شبلول، صفحة 60) فالنقد الإلكتروني -فيما ذهب إليه فضل شبلول- هو إمكانية استغلال الناقد لكل معطيات الحاسوب بما يوفره من معلومات وآليات يمكن استثمارها في الممارسة النقدية لتحليل النص التفاعلي وتلقيه .

إن البحث عن مفهوم واضح ومحدد للنقد التفاعلي أمرٌ يصعب تحقيقه إلا من خلال بعض التصورات والأفكار التي تهدف إلى صياغة آليات ومبادئ رقمية تندرج ضمن النقد التفاعلي، مثل ما نلاحظه عند السيد نجم الذي يذهب إلى أن النقد التفاعلي هو "التناول الموضوعي الواعي بأسرار التقنيات السردية/ المشهدة بالإضافة إلى أسرار التقنيات التكنولوجية، في تحليل العمل الإبداعي الرقمي، وإبراز عناصره الأولية التي شكلته ثم بيان قدرة المبدع الرقمي في توظيف هذا العنصر أو ذاك، وبأي درجة نجاح تحقق توظيف هذا العنصر في البناء الكلي للعمل الإبداعي الرقمي" (نجم، 2016) من هنا يمكننا القول بشكل مبدئي بأنه النقد الذي يستخدم البرمجيات الحاسوبية والإمكانيات الإلكترونية في مقارنة الظاهرة الإبداعية الرقمية.

1- مقترح النقد التفاعلي (نحو منهج نقدي تفاعلي):

كان الغرب سباقاً في استعمال التقنية على مستوى الكتابة الأدبية والإبداعية- نظرياً وتطبيقياً- حتى أنهم أدركوا مدى الحاجة إلى وضع مبادئ وأسس لضبط الإبداع التفاعلي، فتأسست جماعة الأوليبو (l'Oulipo) على يد الشاعر رايمون كينو (Raymond Queneau) والرياضي فرانسوا ليوني (François le lyonnais) بمدينة باريس سنة 1960، وقد ساهمت في تزويد الباحثين بمجموعة من القواعد الشكلية والرقمية لإبداع نصوصهم الأدبية، مع الاستعانة بالمعطيات الرياضية والأشكال التأليفية، وقد تجمع حول هذه المجموعة عدد من الكتاب والشعراء، ونشطت هذه الجماعة في العديد من الدول الغربية كالولايات المتحدة الأمريكية، وهولندا، وغيرها؛ كما ظهرت في فرنسا ما بين 2003 و2007 مجموعة (العابر الملاحظ Transitoire Observeable) وقد ساهمت هي الأخرى في إرساء الأدب الرقمي وإثرائه بنية ودلالة ومقصدية؛ ثم توالى المؤلفات بعدها مثل (الأدب الرقمي والحكي التفاعلي) و"القيمة العلمية للأدب الرقمي" ل بوشاردون (Bouchardon, S) وكتاب "بلاغة النص الرقمي" ل سايمر (Saemmer) و بوتز (Boutz) في كتابه "أساسيات الأدب الرقمي" (الحمدادي، 2006، صفحة 69).

لم يتخلف النقد العربي عن التطور الحاصل حيث برز مجموعة من النقاد مثل: (حسام الخطيب، محمد سناجلة، سعيد يقطين، فاطمة البريكي، ملحم ابراهيم أحمد، أحمد فضل شبلول، والسيد نجم...) أدركوا مدى الحاجة إلى مواكبة سرعة التدفق الإلكتروني، وعملوا جاهدين على إرساء آليات تتوافق مع المعطى الجديد فرغم التخوف والرفض الذي يشهده (الأدب التفاعلي) من طرف نخبة من الباحثين، إلا أن الأمر لم يقف عقبة أمام نقاد الأدب التفاعلي، فتالت مؤلفاتهم تشير في مجملها إلى إرهاصات مرحلة جديدة في ميدان تلقي الأدب ونقده، مرحلة لا تنفصل عن السابق بل هي امتداد للنظرية النقدية الحديثة، عمل أولئك الباحثين على تطوير تلك المناهج الحديثة، بشكل يتوافق مع التكنولوجيا وبطريقة تجعل من الآليات الحديثة تحتضن النص التفاعلي، الأمر الذي يؤكد سيورة المناهج وتطورها في هذه المرحلة الرقمية لأن "النقد الأدبي الإلكتروني قد يستفيد من أحد هذه المناهج، وقد يستفيد منها مجتمعة، إذ أنه يسعى إلى إقامة منهج نقدي متكامل باستخدام الحاسب الآلي، وإمكانات شبكة الإنترنت العالمية" (شبلول، صفحة 58) من ذلك ما اقترحه أحمد فضل شبلول في سبيل تصور مبادئ للنقد الإلكتروني من خلال محاولته قراءة رواية "لا أحد ينام في الإسكندرية" للكاتب ابراهيم عبد المجيد والتي وصلت إليه عن طريق البريد الإلكتروني، فبعد ما يسرد لنا الناقد ملخصاً حول الرواية ومضمونها يغوص في ثناياها محاولاً استثمار معطيات التكنولوجيا من أجل تحرير مبادئ للنقد الإلكتروني كالآتي :

- استثمار جهاز الحاسب الآلي، وشبكة الإنترنت في العملية النقدية.
- يمكن للنقد الإلكتروني الإطلاع على مختلف المذكرات والصحف اليومية والكتب التاريخية وحتى الأفلام الوثائقية أو الدرامية التي كانت مصادر أساسية للمؤلف أثناء عمله الإبداعي، واستغلالها من طرف الناقد واستثمارها في عملية التحليل النقدي.
- إن الوسيلة النقدية الإلكترونية، سوف تسهم في تذليل الكثير من العقبات التي يتعذر على الناقد تجاوزها بالطرق التقليدية، بل إنها ستفتح له آفاقاً نقدية جديدة، وستمنحه رؤى وأفكار قد لا تخطر على باله أثناء ممارسته للعملية النقدية التقليدية.
- استثمار الناقد للإمكانات الإلكترونية في سبيل إنجاز مشروع أدبي أو نقدي يقدمه للتاريخ الأدبي والنقدي، هو مشروع سيحي عليه الدور ليكون مرجعاً في الشبكة العالمية، يُرجع إليه عند الحاجة.
- ستكون حلقات النقاش التي من الممكن أن يعقدها مجموعة من النقاد والأدباء، عن طريق شبكة الإنترنت، حول هذه الرواية أو غيرها، وفي حضور المؤلف على الخط، وثائق أدبية من الممكن الرجوع إليها عند البحث والمقارنة.

- يبدأ الناقد تحليله من خلال عملية الإحصاء التي يستعين عليها برامج الحاسوب، ثم ينتقل إلى تحليل بعض العبارات الأجنبية الواردة في الرواية عن طريق البرامج اللغوية أو القاموسية.
- يمكن استحضار شخصيات الرواية كلها أمام عين الناقد، بدلا من الاعتماد على ذاكرته بعد القراءة والقيام بعقد مقارنة أو موانة بين تلك الشخصيات، وشخصيات مماثلة في الرواية نفسها، أو في روايات أو أعمال أخرى.
- ضرورة تصميم برامج خاصة لتحليل كل نوع أدبي، لأن المواصفات المطلوبة لبرنامج نقد الشعر ستختلف بالتأكيد عن المواصفات المطلوبة لنقد الرواية.
- يفيد برنامج الناقد الإلكتروني المقترح في اكتشاف السرقات الأدبية، وفي الكشف عن علاقة النص الأدبي بغيره من الأعمال الأخرى التي سبقتها، أو المعاصرة له؛ كما يمكن أن يفيد هذا البرنامج في تحديد مستوى العمل الإبداعي المرسل إلى الناقد (شبلول، الصفحات 70-86).

يعد هذا المقترح بمثابة تصورات أولية يعمل الناقد من خلالها على الجمع بين المناهج النقدية وبين التقنية، فهو يقف موقف المنبهر من الإمكانيات التي تقدمها خدمات التكنولوجيا، ويتمسك في كل عنصر من العناصر السابقة بضرورة توجه المبرمجين إلى إنشاء برامج خاصة بالعملية النقدية الإلكترونية، لينتهي إلى سؤال مفاده إمكانية فقدان حرية الناقد الذي سيعتمد على مخرجات هذا البرنامج ونتائجه، لينفي بعدها حدوث هذا الأمر رابطاً إياه بطموح الإنسان ورغبته في التجديد، لكن السؤال الذي يتبادر إلى الأذهان من خلال هذه المقترحات، لماذا يستعين الناقد بمبرمجين؟ وهذا المبرمج هل هو ناقد في الأصل، أو أنه من أهل الاختصاص الإلكتروني فقط؟ في اعتقادنا ضرورة ارتباط المبرمج والناقد، فعلى الناقد الإلكتروني أن يكون ملم وعالم بتقنيات الشاشة الزرقاء، الأمر الذي يمكنه من ابتكار برامج تساعد في التحليل، لا تحلل عنه، بل هي بمثابة الدعامة الإلكترونية التي تساعد في عملية التحليل والتلقي.

نقف أمام مقترح آخر للناقد إبراهيم أحمد ملحم في كتابه "الأدب والتقنية مدخل إلى النقد التفاعلي":

- يسلط النقد التفاعلي ضوءه على مدى نجاح المنتج في تطوير التقنية بحيث تكون جزءاً حيوياً من الكل المتكامل.
- يسلط النقد ضوءه على كون الكاتب له فضل البدء فقط، وهو شريك في امتلاك النص، وليس له ملكية مطلقة، ويصل ضوء النقد إلى كل نهاية تمت صياغتها.

- إن إنتاج النص التفاعلي ينبغي أن يحمل رؤية إنسانية للمتلقى وليس رؤية عشوائية، والناقد التفاعلي ملزم بالبحث عن معنى ما لهذه الرؤية، لأنها في النهاية ولدت لتعيش، ومهمة الناقد التفاعلي أن يساعدها على العيش بتقريبها من المتلقي، ثم يترك له الحكم إن كانت تستحق أن تحظى بالحياة، أم أنها تسقط لحظة تصفحها.
- لا بد لثقافة الناقد التفاعلي للأدب أن تكون أكثر توغلاً، لأنها تحضم التراث والحداثة في حقول مختلفة منها: اللغة، والشعر، والنثر، والنقد، وتحضم الفن بقوله المختلفة منها: الموسيقى، والجرافيك، والفيديو وكل واحد مما سبق له أصوله وقواعده في البناء والتأثير.
- ليس الناقد الأدبي التفاعلي ملزماً برصد كل ما يُنتج من أعمال على الإنترنت، فهذا جهد لا يستطيع أن ينهض به، كما أن هناك ما يستحق التحليل، وهناك ما لا يستحق هذا.
- يجب على طبيعة الخطاب النقدي التفاعلي أن تكون متوازنة بحيث لا يطغى الجانب الفني على الأدبي، فالبؤرة أو مركز الاهتمام هو النص المكتوب الذي أعطى للعمل صفة الأدبية، وكل ما يصاحب هذا النص يقوي المعنى، أو يولّد معنى يضاف إليه.. نحن أمام نص تتضافر في بنائه عناصر كثيرة، ومهمة الناقد هي الكشف عن مدى توفيقها في ذلك، وإيجاد العلاقة بينها وبين نتاج أدباء آخرين للوقوف على الظاهرة الأدبية التفاعلية، ومعرفة خط سير الأدب. (ملحم، 2013، الصفحات 57-60)

تكمن مهمة الناقد التفاعلي الجوهرية من خلال ما تقدم في أنه بمثابة الوسيط بين العمل الإبداعي والتقنية من جهة، وبين الأدب التفاعلي والمتلقين من جهة أخرى، فالناقد يقارب نصاً مفتوحاً تُحوّل النهاية فيه إلى عدد من المتلقين، كلٌّ من وجهة نظره ومبادئه وثقافته، فعلى الناقد تبصير القارئ بمدى توفيق المبدع الإلكتروني في إنتاج نص تفاعلي يستثمر فيه معطيات الحاسوب، ليترك الحرية للقارئ من أجل بناء النهايات.

تذهب الناقدة **فاطمة البريكي** إلى استثمار آليات النظرية النقدية المعاصرة وتطويعها بغية عقد علاقة بينها وبين النقد التفاعلي، وترى أن أكثر تلك النظريات اتساقاً مع تطبيقات (الأدب التفاعلي) هي نظريات القراءة والتلقي ونقد استجابة القارئ، كما تجد نظريات باحثين عن الحوارية، وكريستيفا عن التناس، صدى طيباً في تطبيقات هذا الجنس الأدبي الإلكتروني الجديد، وتقف على العلاقة المفترض وجودها بين (الأدب التفاعلي) وهذين النموذجين (التلقي والتناس) من أجل التعرف على مواطن الاتفاق والافتراق بينهما، وسعيًا لفهم أثر التغير على العملية الإبداعية وعناصرها على النظرية النقدية عامة؛ ومن أهم النتائج التي توصلت إليها الناقدة أن انتقال عملية التلقي إلى العالم الافتراضي لا تعني هبوط نجم التلقي الورقي بل بالعكس، فإن الأدوار متبادلة بينهما بمرونة ويسر، وقد عزز المبدع الإلكتروني دور المتلقي وفعل التلقي دون أن يفقد -في رأيها- مكانته، بل إنه في العالم الإلكتروني

هو في مكانة أفضل من السابق عندما كان يُنظر إليه بوصفه ذلك الشخص الورقي، الذي ينتهي دوره بمجرد تسليمه النص للمتلقي؛ أما فيما يخص التناسق تذهب الناقدة إلى أن النص في الطور الإلكتروني عبارة عن لوحة فسيفسائية تجمع بين النصوص في كافة أحوالها، المكتوب منها والمسموع، والمرئي في حالاته الثابتة والمتحركة، وتتسم هذه اللوحة الفسيفسائية الإلكترونية بقدرتها على إقامة علاقات التداخل والتشابك بين النصوص المختلفة المتضمنة فيها، على ما تنطوي عليه من تنوع وتعدد، بالإضافة إلى المرونة في الانتقال بين المواد النصية وغير النصية، وختاماً ترى الناقدة أن (الأدب التفاعلي) بما يقدمه يبدو تطبيقاً لما تقدم من تنظير نقدي، وإن جاء التطبيق على شكل مختلف عما كان المنظرون يفكرون فيه، ولكنه اختلاف إيجابي، فيه ارتقاء بالنصوص نحو الأفضل. (البريكي، 2006، الصفحات 153-183)

مما سبق يمكننا القول بأن النقد التفاعلي هو إثراء للنظرية النقدية، وجاء لتطوير الآليات التي توصل إليها النقد الأدبي الحديث، فالتلقي يتسع وينفتح ويصبح في عصر الرقمنة "عنصراً مهماً في تحريك ما يمكن تحريكه بقدر من الوعي والثقافة والإلمام غير المخل بأساليب التقنية المعاصرة، وفهم للوسيط ونوعيته لاستيعاب كل تراتبية اللحظات التفاعلية في مراحل التلقي وأشكاله" (بوبر و ستيي، 2022، صفحة 537) وتصبح عملية التلقي هي المحرك الرئيس في بناء معان النص التفاعلي وتركيبها بطرائق متنوعة ومتعددة، يتحكم فيها عدد المتلقين ودرجة التمكن من إتقان الإمكانيات التي تتيحها التقنية.

يخضر المنهج السيميائي من خلال الباحثة سمر الديوب في دراستها المعنونة بـ "البلاغة والبلاغة المضادة ضلال العاشق أنموذجاً" حيث تستثمر الأدوات السيميائية كالدال والمدلول والمتعاليات النصية متمثلة في الحواشي والعناوين والإحالات والتعليقات، وتذهب إلى القول بأن من سمات النص الرقمي أن المبحر يمكن أن ينتقل فيه بحرية، ويتجاوز بعض المشاهد والروابط، وهي تصف الرواية بأنها نصاً مضاداً تأخذ من التاريخ ومن الروايات الحربية ومن ألعاب الفيديو والمقاطع الفيلمية ومن الأدب العجائبي والأسطوري، وتوظف التكنولوجيا وتطوعها لخدمة النص الأدبي، فيتماهي العلم الأدب (الديوب).

2- المستويات المنهجية:

نحاول صياغة مفاهيم هذا العنصر من خلال الإقتراحات التي يقدمها جميل الحمداوي في كتابه "الأدب الرقمي بين النظرية والتطبيق (نحو المقاربة الواسائطية)" حيث يسطر جملة من المستويات لمعالجة الظاهرة الأدبية التفاعلية، والتي يطلق عليها "المقاربة الواسائطية أو الميديولوجية Mediologique" فبعد شرحه للحدود المفاهيمية لهذه المقاربة يفصل في مستوياتها على النحو الآتي:

- **مستوى التوزيع:** عملية التوزيع هي أولى مرحلة في التعامل مع النص الإبداعي الرقمي، وبعد ذلك ينتقل إلى عمليات التصفح والتجوال والإبحار قصد السباحة في الشبكة العنقودية بكل عوالمها الافتراضية الممكنة.

- **مستوى التشذير (La fragmentation)** وفي هذا المستوى يتم توزيع النص الرقمي إلى مقاطع وفقرات ونصوص وروابط وفق آليات سيميوطيقية معينة، كآلية التزمين، وآلية التشاكل، وآلية البياض والسواد، وآلية الحضور والغياب...
- **مستوى الشكلي والفني والجمالي:** يهتم هذا المستوى بالآليات الفنية والجمالية واللسانية التي تتعلق بالأدب من جهة، والوسيط الرقمي من جهة أخرى، وبالتالي يكون الهدف هو التحقق من توفر الوظيفة الأدبية من ناحية، والوظيفة الرقمية من ناحية أخرى؛ ويتحقق كل ذلك من خلال تجنيس النص ثم دراسته وفق جنسه الأدبي كأن يكون قصيدة شعرية، أو قصة، أو رواية، أو مسرحية... ويعنى هذا المستوى بما يلي:
- تجنيس النص وتنميته وفق أدبيته الداخلية والخارجية.
 - تحديد مكونات النص وسماته الأدبية والرقمية.
 - التوقف عند بلاغة النص الرقمي وجمالياته.
 - دراسة الأسلبة الأدبية والرقمية.
 - الاستعانة بلسانيات النص الرقمي وتداولياته.
 - الاهتمام بمعمار النص الرقمي ومكوناته البنوية والشذرية.
 - دراسة الجمالية الآلية والوسائطية صوتا، وصورة، وحركة وحوسبة.
- **المستوى الموضوعاتي:** يرصد هذا المستوى الموضوعات والقيم التي يزرع بها النص الرقمي، مع تصنيفها ودراستها ومعالجتها معجميا ودلاليا وسياقيا وتداوليا، وينبني هذا المستوى على العمليات التالية:
- تحديد العقد النصية والرقمية (مواضيع التصفح)
 - رصد مختلف الروابط الداخلية والخارجية (العلاقات التفاعلية بين الأنساق الثقافية)
 - استجلاء الأكوان الافتراضية (الكون اللغوي، والكون الشبكي، والكون الكتابي، والكون الرقمي، والكون الخيالي...)
 - جرد مختلف الحقول الدلالية الأدبية، والحقول الدلالية الرقمية، والحقول التقنية والوسائطية...
- **المستوى الوسيط:** يبحث هذا المستوى في نوعية السند Support أو الوسيط Médium الذي يوظفه النص أو الأدب الإبداعي، فالأدب الرقمي يستعين بمجموعة من الوسائط الأساسية: النص الصوت والصورة والحاسوب، بالإضافة إلى الجمع بين الحرف والرقم.
- **المستوى المرجعي:** يعنى بدراسة السياق الرقمي الافتراضي بمختلف عوامله النصية والمرجعية والتداولية والذهنية، ويحيل أيضا على الفضاء الشبكي ويهتم بما يلي:

- تحديد المرجع النصي الداخلي.
 - تحديد المرجع النصي الخارجي.
 - إبراز مختلف العوالم الافتراضية الممكنة.
 - تعيين السياق النصي التلفظي والتداولي.
 - الإشارة إلى المراجع الترابطية والتناسية والتفاعلية العالقة.
 - استجلاء مختلف العوالم الشبكية ومراجعتها الرقمية والحاسوبية والفضائية.
- **المستوى التقني:** يهتم بما هو مادي وتقني وآلي أي تلك البرامج الآلية الأوتوماتيكية التي تسهم في توليد النصوص الرقمية وتحريكها.
- **المستوى التفاعلي:** يهتم هذا المستوى بالعلاقات التفاعلية الموجودة بين الكاتب والمتلقي الرقمي، أو بين السارد والقارئ الحاسوبي المفترض.
- **المستوى اللوغاريتمي:** يبحث عن علاقة الحرف بالرقم، ويدرس مختلف عمليات الرقمنة الهندسية التي تسهم في إنتاج النص الإبداعي، يرصد مختلف العمليات والمراحل التي يمر بها النص الأدبي من العمق نحو السطح، فهذا المستوى يعنى بالعمليات الرياضية والمنطقية والهندسية التي تتحكم في توليد النصوص الأدبية الرقمية المتشعبة.
- **المستوى الترابطي:** يهتم بالعلاقات الترابطية التي تكون بين النص الأدبي ومختلف الوسائط الإعلامية الأخرى حتى يستوي نصا أدبيا رقميا أصيلا.
- **مستوى التحريك (Animation):** يهتم بتحريك النص الرقمي تحسباً وترقيماً وتفاعلاً وتشعيباً، ويتم بالانتقال السريع من نافذة إلى أخرى، ومن صفحة إلى أخرى، بطريقة سريعة وديناميكية.
- **المستوى التناسي:** يعد التناس من أهم آليات التفاعل الرقمي، ويتخذ في الأدب الرقمي بعدا ترابطيا وتفاعليا متشعبا يدرس في ضوء الثقافة الرقمية والإلكترونية والحاسوبية.
- **المستوى الوظيفي:** يركز هذا المستوى على الوظيفة الأدبية أو الجمالية (La fonction poétique) من جهة والوظيفة الرقمية (La fonction numérique) من جهة أخرى (الحمدادي، 2006، صفحة 100).
- نلاحظ في بناء هذه المستويات أنها تقوم على معطيات النظرية النقدية الحديثة حيث تستثمر من حقوقها وآلياتها وتسعى إلى ربطها بالتقنية، فهي محاولة لدمج المعطى النقدي الحديث بالحاسوب ومعطيات التكنولوجيا، حيث تستعين باللسانيات والسميائيات ونظرية التواصل لجاكسون وغيرها من الإجراءات، وتحاول المزاجية بينها وبين العالم الافتراضي، لبناء رؤية جديدة تنطلق من ما هو موجود لصياغة مرحلة تعتبر فيها التكنولوجيا هي المحرك الرئيسي لعملية الإنتاج والتلقي، ويتحقق الابداع من خلال عملية التفاعلية.

تتضمن المقترحات السابقة الذكر على عدة مصطلحات تشير في مجملها إلى الهندسة والمنطق الرياضيات الأمر الذي يثير عدة تساؤلات، خاصة إن كنا نتكلم عن مشروع الناقد الإلكتروني، الذي يتحول من خلال ما سبق إلى مرمج وإعلامي ورياضي وهندسي، فيجب على المتلقي الإلكتروني أن يُلمّ بمختلف البرمجيات والعلوم التي تساعده للتبحر في العالم الافتراضي، لأن التلقي لا يقتصر على مجرد النص الأدبي بل يشمل كل الصور والهندسات والتطبيقات الموظفة في تكوينه.

إن مرحلة الأدب الرقمي هي مرحلة فتية في العالم العربي لذلك وجب التعامل معها بتلقائية على حد ما ذهبت إليه زهور كرام بقولها: "يشهد الأدب ومختلف أشكال التعبير شكلا جديدا من التجلي الرمزي، باعتماد تقنيات التكنولوجيا الحديثة، والوسائط الإلكترونية... فإن الأدب الرقمي أو المترابط أو التفاعلي الذي يتم في علاقة وظيفية مع التكنولوجيا الحديثة لا شك أنه يقترح رؤى جديدة في إدراك العالم، كما أنه يعبر عن حالة انتقالية لمعنى الوجود ومنطق التفكير" (كرام، 2009، صفحة 22).

خاتمة:

وخلاصة القول هي أن الأدب الرقمي عامة والنقد الرقمي على وجه الخصوص يشهد فوضى اصطلاحية حيث تتنوع المصطلحات وتختلف من باحث إلى آخر، لذلك تبقى هذه المقترحات أفكاراً مبدئية في محاولة بناء آليات نقدية فعّالة من أجل تقصي الظاهرة الإبداعية الأدبية الرقمية.

على المتلقي الرقمي أن يكون عالماً ملماً بعوالم الفضاء الأزرق، على دراية كافية بالبرمجيات والتطبيقات الحاسوبية التي تدخل كعنصر أساسي في عملية بناء النص الرقمي، الذي يتعدى ميدان اللغة إلى الصوت والصورة والهندسة ومختلف المؤثرات التي تساهم في إنتاج النص الرقمي.

إن انحراف النقد عن مساره الورقي إلى المسار الرقمي يُجتم إعادة النظر في تسطير الاستراتيجيات والآليات النقدية، فبعد ظهور عنصر جديد في العملية الإبداعية - التقنية - لابد من إعادة التأسيس وبدأ تطبيق النقد في شكله العام لكن بطرق جديدة، فالبعض بدأ يبحث في الطرق التقليدية وإعادة بعثها بشكل يندمج مع التكنولوجيا، والبعض يحاول إضافة الحاسوب كعنصر فعّال في عملية التلقي.

إن آليات النقد الرقمي لا تشكل القطيعة مع المناهج الحداثية، وإنما تمثل سيرورة للنظرية النقدية الحديثة حيث يحاول النقد الرقمي صياغة إجراءات من خلال الاستنباط من المعطى الورقي ودججه بالتقنية، وهي محاولة لتطوير ماهو ورقي بواسطة المزاوجة بينه وبين التكنولوجيا.

إن النقد الرقمي في العالم العربي لا يزال يخطو خطوات متعثرة، فرغم تلك المحاولات والجهود إلا أنها لا تقدم أساسيات متكاملة، حيث يشهد فوضى اصطلاحية وأزمة منهجية تدل على عدم استقرار الأدب الرقمي في الثقافة العربية، فلا يزال العربي متمسك بالجانب الورقي ومتخوف من التسارع التكنولوجي الذي لا مفرّ منه، لذا وجب علينا مراعاة التطورات الحاصلة ومسايرتها من خلال دمج الورقية بالإلكترونية، فيصبح بذلك الجانب الورقي

هو الأساس والأصل الذي تقوم عليه الأدبية في جانبها الإلكتروني، فلا ينقسم الأدب ولا يتراجع وإنما يمكننا أن نطلق عليها بشكل مبدئي بداية مرحلة جديدة من مراحل النظرية الأدبية، وهي مرحلة الأدب الرقمي.

قائمة المراجع:

- ابراهيم أحمد ملحم. (2013). *الأدب والتقنية مدخل إلى النقد التفاعلي*. الأردن: عالم الكتب الحديث.
- أحمد فضل شبلول. (بلا تاريخ). *أدباء الإنترنت أدباء المستقبل*. الاسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر.
- السيد نجم. (01 04، 2016). *النقد الرقمي ومستقبل السرد مع الوسائط الحديثة*. تاريخ الاسترداد 25 08، 2022، من ueimag.blogspot.com
- إياد ابراهيم فليح الباوي، و حافظ محمد عباس الشمري. (2011). *الأدب التفاعلي الرقمي، الولادة وتغير الوسيط*.
- جميل الحمداوي. (2006). *الأدب الرقمي بين النظرية والتطبيق (نحو المقاربة الواسطة)*. مجلة اتحاد كتاب الإنترنت المغاربة.
- رفيدة بوبكر، و سعدية بن ستي. (2022). *نظرية القراءة والتلقي في الفضاء الرقمي، جمالية التلقي التفاعلي الرقمي*. مجلة العمدة في اللسانيات، 6(2)، 537.
- زهور كرام. (2009). *الأدب الرقمي أسئلة ثقافية وتأملات مفاهيمية*. رؤية للنشر والتوزيع.
- سعيد يقطين. (2005). *من النص إلى النص المترابط مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي*. الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي.
- سمر الديوب. (بلا تاريخ). *البلاغة والبلاغة المضادة "ظلال العاشق" أنموذجاً*. تم الاسترداد من sanajlehshades.com/pages/articlesandstudies
- فاطمة البريكي. (2006). *مدخل إلى الأدب التفاعلي*. المغرب: المركز الثقافي العربي.
- هبة الله بغداددي. (2021). *النقد التفاعلي إشكالية المصطلح-دراسة وصفية*. مجلة مقاربات، 7(1)، 163.